Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويبدو أن ماذكره هذا الباحث يلتقي كثيراً مع ما ذكره المرزوقي لمّا وقف عند نص سلمى بن ربيعة، إلاّ أنه يجب أن نشير إلى أن لا انفصال بين الشكل والمضمون في بناء الصورة الشعرية، ولا في تصورها لدى المتلقي، وحتى عند تتبعنا لمثل هذه العمليات التناصية، فإننا لا نميز الشكل عن المضمون، ولا المضمون عن الشكل، بل إننا ننظر إلى مبدأ التناسب بينهما.

ولعل مثل هذه العمليات التناصية يدخل في باب التغير الذي عرّفه ابن رشيق قائلاً:

"وهو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما ثم يصحا، وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم"(16). وفي هذا الإطار قال عن المتنبي "وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه في المعاني كثيراً ما يخالف الشعراء ويغير مذاهبهم"(17).

وتعد المقاربة من العمليات التناصية، وقد ذكرها المرزوقي لما شرح قول المتوكل الليثي:

لسنا وإن أحسابنا كرمت *معن على الأحساب يتّكل*

نبني كما كانت أوائلنا *تبني ونفعل مثل مافعلوا*

فقال: "لا يُقاربه قول الآخر":

لسنا إذا ذكر الفعال كمعشر *أزرى بفعل أبيهم الأبناء"(18).*

ولعل المرزوقي ههنا يقصد بالمقاربة المشابهة غير التامة، فالنص الثاني يقارب الأول، لكنه لا يصل إليه، لاختلاف طفيف قد يكون موجوداً بينهما. ولعل ماذهب إليه المرزوقي شبيه لما ذهب إليه ابن الأنباري.

وذكر ابن جنّي شيئاً آخراً له علاقة بهذه العملية حين وقف عند نص المتنبي:

ويوماً كان الحسن فيه علامة *بعثت به والشمس منك رسول.*

فقال: "في هذا البيت لمحة من قول الآخر:

إذا طلعت شمس النهار فإنها *أمارة تسليمي عليك فسلمي(19).*

وإذا كانت عملية التناص هذه تمت بجزء من النص المرجعي، فإن المرزوقي يشير إلى عملية أخرى تتعلق بالإلمام بالنص الغائب. ويكشف عن بعض النصوص المرجعية التي ألم بها بعض الشعراء في ديوان الحماسة